

أثر الصلات العلمية بين الدولة الأيوبية والخلافة العباسية في ازدهار الحياة الثقافية في المجتمع الإسلامي

الدكتورة أمنة بنت حسين جلال (٥)

المقدمة:

يمثل هذا البحث دائرة تركيز على الصلات العلمية بين قطبي الحضارة العربية الإسلامية في الحقبة الأيوبية ممثلة بدولة بني أيوب في مصر والشام والخلافة العباسية في بغداد، وبين بما لا يدع مجالاً للشك بأن العلاقات الودية والتبادل الثقافي ممثلاً بجانبه العلمي والأدبي كان متواصلاً كما كان في الحقب السابقة له ولم يكن ثمة قطيعة علمية بين الدولتين. وجهد البحث للإجابة عن تساؤلات بحثية من مثل: ما طبيعة هذه الصلات؟ وهي العلاقات كانت من جانب واحد أو من الجانبين؟ وما أثر هذا التواصل العلمي على العلم ذاته وعلى المجتمع؟ هل ثمة للساسة فيه أم جاء عفواً الخاطر؟

إن بعض هذه الأسئلة جاءت الإجابة عليها مباشرة ضمن عناوين رئيسة في البحث وبعضها الآخر جاءت الإجابة عنه ضمن ثنايا البحث.

وقد ألقى البحث ضوءاً على آلة الصلة وهي الرحلة، حيث مثلت الرحلة بشتى أهدافها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياحية والعلمية مظهراً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية.

(٥) بكالوريوس من جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة 1396هـ.

- ماجستير من جامعة أم القرى، 1400هـ.

- دكتورة من الجامعة نفسها، 1408هـ.

- تعمل الآن أستاذاً مشاركاً بقسم التاريخ الإسلامي - جامعة أم القرى.

وألقى البحث أيضاً ضوءاً على مراكز علمية أخرى غير العواصم السياسية؛ بغداد ودمشق والقاهرة، وبين أن بقية الأمصار داخل الدولتين كانت على عناية فائقة بالحركة العلمية والصلات الثقافية العامة نذكر منها على سبيل المثال لا الحضر: الفسطاط وحلب والموصل. مما أشار بوضوح أن التبادل العلمي كان واسعاً مما يدل دلالة واضحة على أن الحركة العلمية في تلك الأمصار كانت مزدهرة أيما ازدهار وأن العلماء شكلوا حلقات وصل بين أقطار العالم الإسلامي مع غرض النظر عن التناحر السياسي أو المصالح الدنيوية.

كما أشار البحث إلى أثر هذه الصلات في دعم الجهاز ورفد المجاهدين على المستويين المادي والمعنوي بحيث شكل العلماء قوة تعبئة معنوية في قتال الصليبيين وغيرهم من أعداء الأمة.

لذا جاء البحث ضمن هذه المقدمة وتمهيد يعرض اهتمام العالم في تلك الحقبة بالعلم والتدريس من الشعب ومن السلطان وثلاثة محاور هي: أشهر العلماء العراقيين وأشهر العلماء الشاميين وأشهر العلماء المصريين وخاتمة لخصت تلك المحاور وثبت المصادر والمراجع.

التمهيد:

اهتمام الخلفاء والأمراء والعلماء بالعلم والتدريس:

كانت العلاقات السياسية بين الأيوبيين في مصر والشام، والخلافة العباسية في بغداد، قد اتصفت بصورة عامة بالود والاحترام المتبادل، فقد جاءت الصلات العلمية لتؤكد بدورها استمرار تلك العلاقات الطيبة بينهما في المجال الفكري، وبعد أن قامت الدولة الأيوبية السنية في مصر على أنقاض الخلافة الفاطمية الشيعية، كان من أهم مبادئ السياسة الأيوبية الداخلية والخارجية القضاء على النفوذ الشيعي في البلاد؛ لتحقيق هذا الهدف، شجع سلاطين بني أيوب تعاليم السنة ورعوا الفقه السني والمذاهب السنية وأنفقوا على تعليمها بسخاء لا نظير له وتمظهر

ذلك مادياً بتشبيد المدارس السننية المختلفة، ودور الحديث والربط والخانقاوات للعلماء ورجال الصوفية المغتربين⁽¹⁾ وسرعان ما أصبحت المساجد، بالإضافة إلى المدارس ودور العلم، من أهم المراكز الثقافية في بلاد الشام ومصر. ومن ناحية أخرى فإن الخلافة العباسية في بغداد لم تكن هي الأخرى أقل اهتماماً من سلاطين بني أيوب في رعايتها للحركة العلمية والثقافية داخل إطار المذهب السني كما سيظهر في البحث.

ولا يخفى على الدارس للتاريخ أن الرحلة بشتى أهدافها الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياحية والعلمية تمثل مظهراً أساسياً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية، ويعد دورها الأبرز في الربط بين الخصوصيات الثقافية بين الأمصار بغية تشكيل لخدمة المجتمع الواحد، وقد كانت الرحلات الخاصة بطلب العلم والاستزادة منه تشكل جانباً كبيراً من جوانب الحياة الثقافية العامة فجاءت على صورة رحلات دراسية يهدف أصحابها إلى لقاء المشايخ الكبار والأخذ عنهم، والرجوع بالإجازات التي تخولهم رواية الحديث النبوي الشريف، ومختلف فروع العلوم العربية الإسلامية؛ لذا غلبت على الرحلات التي تمت معالجتها في هذا البحث الصفة العلمية والدينية، ضمن تبادل علمي واسع بين المدن الرئيسة بالإضافة إلى العواصم.

يتضمن هذا البحث مجموعة من المتابعات الخاصة لنماذج من الصلات العلمية بين قطبي الحضارة الإسلامية: الدولة الأيوبية في الشام ومصر، والخلافة العباسية في بغداد. وقد أظهر البحث أهمية الرحلة التي تمثل مظهراً من مظاهر الحضارة العربية بغداد. وقد أظهر البحث أهمية الرحلة التي تمثل مظهراً من مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في توثيق الصلات العلمية وتبرز دورها في الربط بين ثقافة الدولتين.

(1) تحدث ابن جبير في رحلته عن اهتمام صلاح الدين الأيوبي وعنايته برجال العلم المغتربين، وما كانوا يجودونه من أنواع الرعاية والعطف. انظر ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكنتاني الأندلسي (ت 614هـ/1217م). الرحلة: تحقيق حسين نصار - القاهرة، 1968م، ص 15، ص 17-245 إلى ص 259. المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت 832هـ/1429م). الخطط المقرئية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، د. ط، مكتبة الأدب، (د. ت)، ج 2، ص 274، ص 414، ص 415، غنيمه، محمد عبد الرحيم. تاريخ الجامعات الإسلامية - بيروت، 1416هـ/1995م، ص 100، ص 104، ص 212، ص 413.

وقد تسابق الخلفاء العباسيون، خاصة في أواخر عصر دولتهم، إلى بناء المدارس ودور العلم⁽¹⁾، فضلاً عن اقتناء الكتب النفيسة ونقلها إلى المكتبات العامة التي أنشئت لذلك الغرض⁽²⁾، فعلاوة على المدرسة النظامية التي أنشئت في منتصف القرن الخامس الهجري الحادي عشر للميلاد، شيد الخليفة العباسي المستنصر بالله مدرسته المشهورة التي عرضت باسم المدرسة المستنصرية سنة 631هـ/ 1233م؛ لتدريس المذاهب السنية الأربعة، وقد أشاد المؤرخون بأهمية تلك المدرسة ومدرسيها، ودورهم في ازدهار الحركة العلمية في العراق والشام ومصر⁽³⁾.

ومن هنا التقت رغبة الأمراء الأيوبيين والخلفاء العباسيين على تدعيم المذهب السني، والنهوض بالحركة العلمية والثقافية إلى المستوى المطلوب، مما تطلب تعاوناً بين مدارس القاهرة والإسكندرية وحلب ودمشق وبغداد، وغدت جميعاً مراكز مهمة للتبادل الفكري والحضاري في مختلف الدراسات والعلوم، وأهمها علوم الحديث والتفسير والفقه واللغة والأدب.

وفي إطار هذا التعاون وصلت جموع العلماء والشيخوخ العراقيين في أعداد كبيرة من بغداد إلى بلاد الشام ومصر، حيث وجدوا البيئة الصالحة، والمناخ الملائم؛ للاشتغال بالعلم والتدريس بمواده المختلفة؛ إذ أقبل عليهم أهل مصر والشام إقبالاً شديداً، ينهلون من علمهم، ويتتلمذون على أيديهم، وصار لكل أستاذ أو شيخ طلبته الذين يحرصون على حضور مجلس أستاذهم بانتظام؛ ليسمعوا منه الحديث الشريف، والتفسير، والفقه، واللغة، وغير ذلك

(1) ذكر الرحالة ابن جبير أن عدد المدرس في بغداد بلغ حوالي ثلاثين مدرسة لتعليم علوم القرآن والفقه والحديث وتدرسيها. انظر: رحلة ابن جبير، ص 205.

(2) أمر الخليفة الناصر سنة 589هـ/ 1193م بتعمير خزانة الكتب بالمدرسة النظامية، ونقل إليها في تلك السنة ما يقارب من عشرة آلاف مجلد من الكتب النفيسة، انظر: ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت 630هـ/ 1232م). الكامل في التاريخ - القاهرة، 1357هـ/ 1938م، ج 12، ص 104. سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو الظفر يوسف ابن فزاوغي (ت 654هـ/ 1257م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان؛ تحقيق مسفر بن سالم الغامدي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1407هـ/ 1987م، ج 8، ص 421. الخزرجي، أبو العباس إسماعيل ابن العباس بن رسول الغساني (ت 803هـ/ 1400م). العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك؛ تحقيق شاكر عبد المنعم: بغداد: دار البيان، 1395هـ/ 1975م، حوادث عام 589هـ.

(3) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج 8، ص 719. الأربلي، عبد الرحمن بن إبراهيم سبط فيو (ت 717هـ/ 1317م). خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة؛ تحقيق بشار عواد معروف وعماد عبد السلام رؤوف - ط 1 - بيروت: دار المغرب الإسلامي، 1418هـ/ 1997م، ص 80، ص 85. ناجي معروف، تاريخ علماء المستنصرية - ط 2 - بغداد، 1384هـ/ 1965م، ص 31، ص 42، ص 43.

من العلوم المتداولة في ذلك العصر. وقد شاركت معظم ملوك بني أيوب وأمراءهم في تلك الدروس الدينية والعلمية، بل إن الملك المعظم عيسى⁽¹⁾ صاحب دمشق، كان يأتي إلى مجلس العلم ماشياً، ويأخذ مكانه بين سائر الطلبة، وكتابه تحت إبطه⁽²⁾.

ولم تقتصر مهمة العلماء العراقيين على التدريس والوعظ، وإنما أسهم بعضهم في بناء المدارس؛ لتدريس المذاهب السنية في بلاد الشام على نفقتهم الخاصة⁽³⁾.

أشهر العلماء العراقيين:

نبغ علماء العراق في العلوم الدينية، وأسهموا إسهاماً كبيراً في الحركة الثقافية في بلاد الشام ومصر في ذلك العصر، واشتهر منهم الشيخ عبد اللطيف البغدادي، والتاج الكندي، وسيط ابن الجوزي، وغيرهم.

أما عبد اللطيف البغدادي⁽⁴⁾ فقد برز في علوم النحو واللغة والطب والفلسفة والمنطق، وقد قدم من بغداد إلى مصر أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر للميلاد، حيث اتصل بعلمائها وأمرائها، ثم غادر مصر عام 583هـ/ 1187م قاصداً السلطان صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام؛ فرحب بن السلطان، وأكرمه غاية

(1) هو الملك المعظم سلطان الشام، شرف الدين عيسى بن العادل، الفقيه الأديب. ولد بالقاهرة 576هـ/ 1180م، وحفظ القرآن وبرع في الفقه، وشرح الجامع الكبير في عدة مجلدات، وسمع المسند لابن حنبل، وله شعر كبير، توفي 624هـ. الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م)، العبر في خبر من غير؛ تحقيق صلاح الدين المنجد - الكويت، 1381هـ/ 1961م، ج 2، ص 164.

(2) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/ 1228م). إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء؛ تحقيق مرغوليو، دافيد صمويل - ط 1 - القاهرة، (د.ت)، 1346هـ/ 1927م، ج 4، ص 223. سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج 8، ص 575، ص 644، ص 646. الحنبلي، ضياء الدين إبراهيم بن محمد (ت 850هـ/ 1446م). شفاء القلوب، مخطوط دار الكتب المصرية، تاريخ، 6548، رقم 5272، ورقة 75، 76.

(3) النعيمي، عبد القادر بن محمد بن عمر (ت 927هـ/ 1520م). الدارس في تاريخ المدارس؛ تحقيق جعفر الحسني - القاهرة، 1408هـ/ 1988م، ج 1، ص 205، 206، 479، ج 2، 29، 32.

(4) البغدادي: هو موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف البغدادي (ت 1231/629م)، نشأ في بغداد وتعلم بها، وزار دمشق ومصر واشتغل بالتدريس في هذه المناطق، واتصل بالسلطين الأيوبيين في مصر والشام، ابن أبي أصيبعة، أحمد ابن القاسم بن خليفة (ت 668هـ/ 1269م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء؛ نزار أحمد رضا - بيروت: مكتبة الحياة 1385هـ/ 1965م، ج 3، ص 330، 335. الكتي، أبو عبد الله محمد بن شاكر (ت 764هـ/ 1269م). فوات الوفيات؛ تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر، ج 2، ص 16، 19. السبكي، تاريخ الدين عبد الوهاب (ت 771هـ/ 1369م). طبقات الشفاعة الكبرى؛ تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمد الطناحي - القاهرة، 1384هـ/ 1964م، ج 4، ص 232، 233، ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت 1089هـ/ 1678). شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ تحقيق لجنة التراث القومي - بيروت: دار الأوقاف، د.ط، ج 5، ص 132.

الإكرام، وحضر بنفسه مجالسه العلمية والأدبية، وقد وجد الشيخ عبد اللطيف كثيراً من علماء وأعيان بغداد في مدينة دمشق، فتناظر معهم في مواد علمية كثيرة، وحول هذا المعنى يقول الشيخ عبد اللطيف: "ولما دخلت دمشق وجدت فيها من أعيان بغداد والبلاد من جمعهم الإحسان الصلاحي جمعاً كثيراً"⁽¹⁾. وبعد وفاة صلاح الدين عام 589هـ/ 1193م زار عبد اللطيف مصر، ولقي فيها كل حفاوة وترحاب من الملك العزيز عثمان⁽²⁾، ثم من الملك العادل الكبير، وبقي فيها أعواماً طويلة يدرس في مدارسها، وخاصة في الجامع الأزهر، وقد التف حوله عدد من طلاب العلم المصريين الراغبين في الانتفاع بعلمه. هذا بالإضافة إلى أنه قام في الوقت نفسه بدراسة أحوال مصر الجغرافية والطبيعية والتاريخية، وجمع كل ذلك في مؤلف قيم أسماه "أخبار مصر"⁽³⁾، غير أن هذا الكتاب النفيس فقد معظمه، ولم يصلنا منه إلا شذرات، تقع في ست وثمانين صفحة، صدرت طبعها الأولى عن مطبعة وادي النيل عام 1286هـ في مجلد واحد، أطلق عليها اسم: "الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر". وجاء هذا الكتاب على صورة مقالات مختصرة كتبها المؤلف بأسلوبه العلمي، عن خواص مصر وظواهرها الطبيعية، والأثرية، والتاريخية، ولم ينس أن يذكر فيه أيضاً ما شاهده من حوادث الوباء الذي عم مصر عام 597هـ/ 1200م وعائنه⁽⁴⁾.

وغادر الشيخ عبد اللطيف في عام 604هـ/ 1207م مصر متوجهاً إلى بلاد الشام، حيث أخذ ينتقل بين مدنها المشهورة كدمشق، وحلب، وبيت المقدس، ليلقي المحاضرات والدروس في مدارس وجوامع تلك المدن، فأقبل عليه عدد كبير من أهل العلم يسمعون منه ويقرأون عليه مختلف العلوم الدينية والعلمية. وعلى هذا الأساس

(1) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ج3، ص334.

(2) الملك العزيز أبو الفتح عثمان بن السلطان صلاح الدين الأيوبي، كان شاباً لطيف الشماثل قوياً ذا بطش كريم، صاحب عفة، توفي 595هـ/ 1198م، الذهبي، العبر، ج3، ص111.

(3) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ج3، ص346، 347- ابن شاعر الكتي. فوات الوفيات، ج2، ص17، ص18.

(4) البغدادي، موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف (ت 926هـ/ 1231م). الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر - ط1 - القاهرة: مطبعة وادي النيل، 1286هـ، ص62، 73.

مكث الشيخ عبد اللطيف في مدينة دمشق فترة طويلة، وأخذ يدرس فيها بالجامع الأموي، وبالمدرسة العزيرية⁽¹⁾، وقد اهتم الشيخ البغدادي بدرس الطب خاصة وتدريسه، حتى أصبح من رواده المشهورة؛ فتزداد عليه جميع كثير من المشتغلين بهذا الفن، ومنهم بعض أفراد أسرة العالم الطيب المعروف "ابن أبي أصيبعة" وغيرهم من الطلبة الباحثين⁽²⁾. ثم غادر الشيخ عبد اللطيف دمشق إلى حلب، وأمضى فيها بقية حياته، مكباً على التدريس، وإلقاء الأحاديث الدينية في جامعها، حتى اشتاق أخيراً إلى بغداد وطنه الأول، فعاجله الموت في بغداد سنة 629هـ/1231م.

وأما التاج الكندي⁽³⁾ فكان من علماء بغداد المشهورين. قدم إلى دمشق سنة 563هـ/1167م وبقي بها حتى وفاته سنة 613هـ/1216م، وقد وصف تاريخ الدين بأنه أوجد زمانه في فنون الأدب وعلم النحو واللغة، تنقل بين حلب ودمشق والقاهرة، فأقبل عليه العلماء والطلبة في تلك البلاد لينتفعوا بعلمه، فرجل إلى مصر والتقى رجال الفكر والأدب بها كالقاضي الفاضل عبد الله بن بري⁽⁴⁾، ثم استقر أخيراً في دمشق بعد أن لقي كل تشجيع ورعاية من صاحبها الملك المعظم عيسى، الذي كان يتردد عليه في منزله بين الحين والآخر يسمع منه علم اللغة والنحو، وقرأ عليه المعظم كتاب سيبويه والمفضل للزمخشري وغيرهما من الكتب اللغوية والنحوية الأخرى حتى

(1) بدأ الملك الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي في تشييد هذه المدرسة في دمشق لتدريس المذهب الشافعي، ثم أتمها من بعده أخوه الملك عبد العزيز عثمان فسميت باسمه. النعمي. الدارس في تاريخ المدارس، ج 1، ص 382، 387.

(2) ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ج 3، ص 330، 331.

(3) التاج الكندي: هو أبو اليمن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي الملقب بتاج الدين (ت 613هـ/1216م)، درس اللغة والنحو والفقه وعلم الحديث بين المدن الإسلامية حلب ودمشق وبغداد والقاهرة، وتلمذ على يديه السلاطين والأمراء. ياقوت الحموي. إرشاد الأريب، ج 4، ص 121. سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج 8، ص 575، 577. أبو شامة المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 566هـ/1170م). ذيل الروضتين - بيروت، دار الجيل، 1394هـ/1974م، ص 95، 98. ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ/1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: تحقيق محمد عبد الحميد - القاهرة، 1948م، ج 2، ص 339، 340.

(4) هو أبو محمد عبد الله بن بري من أشهر علماء اللغة والنحو في مصر، درس على أساتذة عصره من العلماء المصريين والعراقيين الذين أقاموا في مصر، وقصده الطلبة وانتفعوا به، توفي بمصر سنة 583هـ/1187م. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج 3، ص 108، 109 - السبكي. طبقات الشافعية، ج 4، ص 233، 234.

أصبح المعظم لغوياً ونحوياً كبيراً⁽¹⁾، ولم يكن المعظم وحده من ملوك بني أيوب الذين تتلمذوا على التاج الكندي، وإنما صحبه منهم عز الدين فروخشاہ⁽²⁾، وأبو الملك الأجد صاحب بعلبك، وتقي الدين عمر صاحب حماة⁽³⁾، وكذلك الملك الأفضل ابن صلاح الدين⁽⁴⁾، وكان تاج الدين يدرس بالإضافة إلى علم النحو واللغة، علم الحديث والفقه في ركن بإحدى زوايا الجامع الأموي بدمشق، وشيد الملك المعظم عيسى في ذلك المكان مدرسة عرفت باسم المدرسة "التاجية" نسبة إلى تاريخ الدين الكندي⁽⁵⁾. وترك الكندي وراءه ثروة نفيسة من المؤلفات العلمية والأدبية تقدر بسبعمئة وواحد وستين مجلداً وقفها جميعها على طلاب العلم من بعده⁽⁶⁾.

وأما سبط ابن الجوزي فهو الواعظ والمؤرخ المشهور⁽⁷⁾ حفيد العلامة العراقي عبد الرحمن بن الجوزي⁽⁸⁾. ولد سبط ابن الجوزي في بغداد وتفقه على يد جده لأمه ابن الجوزي وغيره من شيوخ وعلماء بغداد، وكان حنبلي المذهب، ثم أصبح حنفياً كالتاج الكندي. قدم إلى بلاد الشام عام 600هـ/1023م، وتنقل بين المدن الشامية

(1) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص577، 644، 647، ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ/1298م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4؛ تحقيق حسين ربيع - القاهرة: دار الكتب، 1972، ج4، ص210، 212. أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل (ت723هـ/1373م). المختصر في أخبار البشر - القاهرة، ج4، ص36، 37.

(2) فروخشاہ بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي عز الدين، صاحب بعلبك، وأبو صاحبها الملك الأجد ونائب دمشق لعنه صلاح الدين، كان ذا معروف وبر وتواضع وأدب، وكان للتاج الكندي به اختصاص، توفي بدمشق سنة 578هـ/1182م، الذهبي. العبر في خبر من غير، ج3، ص76.

(3) تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الملك المظفر صاحب حماة، أحمد الأبطال الموصوفين، كان عمه صلاح الدين يحبه ويعتمد عليه، وكان نائبه على مصر، توفي وهو محاصر مدينة "منازكرد" سنة 587هـ/1171م، ودفن بمدينة "حماة"، الذهبي. العبر في خبر من غير، ج3، ص94.

(4) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص95، 96.

(5) النعمي. الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص483، 484.

(6) الحموي. إرشاد الأريب، ج4، ص223. ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1372م). البداية والنهاية - بيروت، 1944م، ج13، ص72.

(7) سبط ابن الجوزي: هو شمس الدين يوسف بن فزا أوغلي. ولد في بغداد، ونفقه على يد علمائها، وخاصة جده لأمه ابن الجوزي، وغيره من علماء بغداد وشيوخها، كانت له صلة قوية بسلطين الشام، (ت654هـ/1256م). اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى (ت726هـ/1325م). ذيل مرآة الزمان، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، 1374هـ/1954م، ج2، ص40، 43. ابن كثير. البداية والنهاية، ج13، ص194. الفاسي: محمد بن أحمد (ت958هـ/1551م). تاريخ علماء بغداد - بغداد، 1357هـ/1938م، ص326.

(8) كان عبد الرحمن جمال الدين بن الجوزي من أشهر علماء بغداد في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وكان فقيهاً وعالمًا كبيراً. له مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون، توفي في بغداد عام 597هـ/1205م. سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص480، 482. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج3، ص140، 141.

يسمع ويقرأ على علمائها من أمثال تاج الدين الكندي وجمال الدين الحرستاني وغيرهما⁽¹⁾، ثم رحل سبط ابن الجوزي إلى مصر وحدث بها، لكنه سرعان ما عاد مرة أخرى إلى بلاد الشام، حيث بلغ فيها منزلة عالية لم يبلغها غيره من العلماء عند ملوك بني أيوب.

اشتهر سبط ابن الجوزي بالتدريس والوعظ والتأليف؛ إذ كان له مجلس وعظ في الجامع الأموي كل يوم سبت، وكان الناس يحضرون على سماع حديثه حتى إنهم كانوا يتركون بساتينهم في فصل الصيف موعد نضج الفاكهة، ويأتون إلى المسجد في الموعد المحدد، حتى لا تفوتهم كلمة واحدة من حديثه⁽²⁾. ولم يقتصر سبط ابن الجوزي على الوعظ في المساجد، وإنما كان أستاذاً في علم الحديث والفقه واللغة، بالإضافة إلى كونه مؤرخاً كبيراً، وقد باشر سبط ابن الجوزي التدريس في مدارس كثيرة بدمشق، منها: المدرسة العزيزية البرانية⁽³⁾، والمدرسة العزية الحنفية⁽⁴⁾، والمدرسة الشبلية⁽⁵⁾، والمدرسة البدرية⁽⁶⁾.

كذلك كان لسبط ابن الجوزي دور كبير في حركة الجهاد ضد الصليبيين، حتى إنه عندما ضاق المسلمون بوطأة الصليبيين عليهم في دمياط عام 617هـ/1220م كتب إليه الملك عيسى من القاهرة يقول له: "أريد أن

(1) هو قاضي القضاة جمال الدين أبو القاسم الحرستاني. تفقه وسمع الحديث على شيوخ عصره في العراق وبلاد الشام، توفي بدمشق سنة 614هـ/1217م، السبكي. طبقات الشافعية، ج5، ص74، 75، ابن كثير. البداية والنهاية، ج13، ص78.

(2) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص48، 49. اليونيني. ذيل مرآة الزمان، ج1، ص40، 43. ابن كثير. البداية والنهاية، ج13، ص194.

(3) أنشأ تلك المدرسة لتدريس المذهب الحنفي صاحب صرخد الأمير عز الدين أبيك أستاذار الملك المعظم عام 626هـ/1228م. النعمي. المدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص423، 424.

(4) أنشأ تلك المدرسة أيضاً الأمير عز الدين أبيك المعظمي. النعمي. المصدر السابق، ج1، ص428، 429.

(5) قام ببناء تلك المدرسة عام 616هـ/1219م لتدريس المذهب الحنفي الطواشي شبل الدولة الحسامي خدام الأمير حسام الدين محمد لابن لاجين، ولد ست الشام بنت أيوب. النعمي، المصدر السابق، ج1، ص407، 412.

(6) أنشأ تلك المدرسة الأمير بدر الدين حسن بن الداية أحد أمراء نور الدين محمود، وهي أيضاً لتدريس المذهب الحنفي، سنة 638هـ/1240م. النعمي، المصدر السابق، ج1، ص365، 368.

تعرض الناس في دمشق على الجهاد، وتعرفهم بما يجري على إخوانهم أهل دمياط" ففعل سبط ابن الجوزي ما طلب منه، حتى استجاب عامة الناس لما يريده⁽¹⁾، توفي سبط ابن الجوزي بدمشق عام 654هـ/ 1256م.

وهناك علماء وأساتذة كثيرون قدموا من بغداد إلى الديار المصرية ومدن بلاد الشام، قصد الاشتغال بعلم الحديث والفقه، وتدرّس هذه العلوم في مدارسها وجوامعها، ولم يعد كثير منهم إلى بغداد، وفضلوا الإقامة في مصر أو بلاد الشام حتى وفاتهم، ومن هؤلاء أبو شجاع الفرضي المعروف ابن الدهان⁽²⁾ الذي تنقل في طلب الحديث والاشتغال عليه بين مصر وبلاد الشام إلى أن اتخذ مدينة دمشق مكاناً لإقامته الدائمة، فأخذ يعمل في البحث والتصنيف في غرائب الأحاديث حتى وفاته سنة 590هـ/ 1193م⁽³⁾.

ومن هؤلاء العلماء محمد بن عبد الغني الحافظ المعروف بابن نقطة⁽⁴⁾، الذي رحل هو الآخر في طلب الحديث إلى خراسان وأصبهان واربيل ودمشق ومصر، إلى أن استقر أخيراً في مصر حتى وفاته سنة 629هـ/ 1231م، وأيضاً صفى الدين أبو بكر البغدادي⁽⁵⁾، الذي قدم إلى مصر واتصل بعلمائها وفقهائها لدراسة علم الحديث، ومنهم الحافظ الكبير ذكي الدين المنذري⁽⁶⁾، الذي بقي في مصر حتى وفاته 630هـ/ 1232م. أما أبو إسحاق تقي الدين الصيرفي الذي كان أحد حفاظ الحديث، فقد قدم الموصل ودمشق وبيت المقدس وحلب، وبعد أن حدث بتلك المدن التي مر بها اختار مدينة حلب للإقامة بها، حيث قام بتدرّس علم الحديث والفقه

(1) ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ/ 1468م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - دار الكتب، 1348هـ/ 1929م، ج 6، ص 238، 239. ابن العماد. شذرات الذهب، ج 5، ص 18. علي محمد كرد. خطط الشام - ط 2 - بيروت 1391هـ/ 1971م، ج 4، ص 38.

(2) فخر الدين بن الدهان محمد بن علي بن شعيب البغدادي الفرضي، الأديب النحوي الشاعر، وصل إلى الجزيرة والشام ومصر، وصنف الفرائض على شكل المنبر، فكان أول من اخترع ذلك، ألف كتاب غريب الحديث. توفي سنة 590هـ/ 1193م. الذهبي. العبر، ج 3، ص 103.

(3) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (ت 656هـ/ 1256م). التكملة لوفيات النقلة - ط 1 - بيروت، 1401هـ/ 1981م، ص 397، ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج 4، ص 105، 106. ابن العماد. شذرات الذهب، ج 4، ص 304.

(4) الذهبي. العبر، ج 3، ص 205. ابن العماد. شذرات الذهب، ج 5، ص 135.

(5) الذهبي. العبر، ج 3، ص 155.

(6) كان المنذري أحفظ أهل زمانه في علم الحديث، وكان مدرّساً في علم الحديث بدار الحديث الكاملية بالقاهرة، وكان الطلبة والعلماء يقصدونه من كل مكان ليسمعوا عليه الحديث والفقه. اليونيني. ذيل مرآة الزمان، ج 1، ص 249. السبكي. طبقات الشافعية، ج 5، ص 108، 109. الفاسي. تاريخ علماء بغداد، ص 14، 16.

بدار الحديث الذي أنشأها القاضي بهاء الدين بن شداد، وبقي في مدينة حلب حتى وفاته عام 641هـ/

1243م، وقدم أبو محمد عبد الله بن سالم البجلي البغدادي⁽¹⁾ إلى دمشق ومنها إلى القاهرة، وفيها لزم تدريس

الحديث بالمدرسة السيوفية الحنفية⁽²⁾ وظل مدرساً بها حتى وفاته عام 584هـ/ 1811م.

ومن العلماء العراقيين الذين ساهموا في الحركة الثقافية في بلاد الشام، أبو القاسم محمود ابن المبارك

الواسطي⁽³⁾، فقد كان مدرساً بالمدرسة النظامية في بغداد، وبعد ذلك قدم إلى دمشق، وبنيت له مدرسة

جاروخ⁽⁴⁾ من أجل تدريس الحديث والفقه على المذهب الشافعي، كما أنه درس بهذه المدرسة علم الطب، إلا أنه

غادر دمشق إلى بلاد فارس، فاتخذ مدينة شيراز مكاناً لإقامته بها حتى وفاته عام 592هـ/ 1195م.

أما الشيخ حنبل بن عبد الله الرصافي⁽⁵⁾، فقد خرج من بغداد إلى بلاد الشام، واستقر في مدينة

دمشق يحدث بها فترة طويلة، ولقي فيها من حاكمها الملك المعظم عيسى بن السلطان العادل كل حفاوة وتقدير،

لكنه عاد إلى بغداد، فتوفي بهام عام 604هـ/ 1217م، بعد أن حدث في طريقه في مدينة الموصل وغيرها من

البلاد الجزرية⁽⁶⁾.

وهناك أيضاً علماء وأساتذة عراقيون آخرون اعتنوا بدراسة وتدريس علم الحديث والفقه، رحلوا من بغداد

واتخذوا من بلاد الشام ومصر مكاناً لقضاء بقية حياتهم العلمية، وقاموا بدراسة علم الحديث والاشتغال عليه

وتدريسه في كل من القاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب وحماة، ومن العلماء العراقيين الذين أقاموا في بلاد الشام

(1) المنذري. التكملة لوفيات النقلة، ج1، ص68. الذهبي. العبر، ج3، ص241.

(2) هذه المدرسة بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي في القاهرة ووقفها على الفقهاء الحنفية، وهي أول مدرسة تقام في مصر على المذهب الحنفي. المقرئ. الخطط، ج2، ص365، 366. حسنين ربيع. النظم المالية في زمن الأيوبيين - القاهرة، 1384هـ/ 1964م، ص76.

(3) الذهبي. العبر، ج3، ص106. البياضي، عبد الله بن أسعد (ت 768هـ/ 1366م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1413هـ/ 1993م، ج3، ص472، 473، 474.

(4) شيد تلك المدرسة جاروخ التركماني الملقب بسيف الدين وذلك عندما قدم أبو القاسم الواسطي إلى دمشق ليقوم بالتدريس فيها. النعمي. المدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص169، 170.

(5) هو حنبل بن عبد الله الرصافي راوي المسند بكامله عن أبي الحصين، سمع المسند في نيف وعشرين مجلساً. الذهبي. العبر، ج3، ص137.

(6) المنذري. التكملة لوفيات النقلة، ج3، ص998. ابن كثير. البداية والنهاية، ج13، ص50.

وكانت وفاتهم بها كل من الشيخ أبو غالب عبد الواحد بن الحصين الملقب بالنظام الذي توفي في حلب عام 597هـ/1200م وأبو محمد عبد المجيب بن أبي القاسم الذي توفي عام 604هـ/1207م والشيخ محمود بن مسعود المنعوت بأبي الثاء الذي توفي في دمشق عام 609هـ/1212م، وأبو عبد الله محمد بن موهوب المعروف بابن البناء⁽¹⁾ الذي توفي في دمشق عام 612هـ/1215م، والقاسم بن القاسم أبو محمد الواسطي الذي توفي في حلب عام 626هـ/1288م⁽²⁾، ومن العلماء العراقيين الذين أقاموا في مصر وكانت وفاتهم بها، الحسن بن أبي سالم البغدادي المتوفى عام 596هـ/1199م، وأبو الحسن علي بن أبي حمزة المتوفى عام 599هـ/1202م، وأبو الفضل محمد بن يوسف البغدادي المتوفى عام 599هـ/1202م، وأبو إسحاق إبراهيم المعروف بابن النبيت المتوفى عام 605هـ/1208م⁽³⁾.

أشهر العلماء الشاميين:

إن الاهتمام بدراسة العلوم الدينية واللغوية وتدريسها، لم يقتصر في تلك الحقبة على العلماء العراقيين الذين وفدوا إلى بلاد الشام ومصر، وإنما شاركهم في ذلك علماء الشام ومصر الذين ذهبوا إلى بغداد، وتعلموا هناك على أشهر العلماء فيها كابن الجوزي، وابن طبرزد، وابن سكيئة، وعبدالقادر الجيلاني، وغيرهم، ومما يلفت النظر أن غالبيتهم لم يكتفوا في بغداد سوى فترة قصيرة من الزمن، ثم عادوا إلى وطنهم، ليستأنفوا مسيرتهم العلمية والأدبية، بالتعاون مع إخوانهم العلماء والشيوخ العراقيين، الذين فضلوا بدورهم الإقامة الدائمة في بلاد الشام ومصر، ويعود ذلك إلى أن بغداد أخذت تفقد تدريجياً زعامتها العلمية والأدبية في أواخر عهد الخلافة العباسية، وتحول ذلك النشاط العلمي والأدبي من بغداد إلى بلاد الشام ومصر، في عصر سلاطين بني أيوب.

(1) أبو عبد الله بن البناء الشيخ نور الدين محمد بن أبي المعلى عبد الله بن موهوب بن جامع البنداري الصوفي، صاحب الشيخ أبا النجيب السهروردي، وسمع من ابن ناصر، وحدث بالعراق والشام ومصر حتى توفي بدمشق عام 612هـ/1215م. الذهبي. العبر، ج3، ص158.

(2) الحموي. إرشاد الأريب، ج6، ص185، 186. سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص562. المنذري. التكملة لوفيات النقلة، ج2، رقم 610، وج3، رقم 999، ج4، رقم 1438 و1682.

(3) الحموي. المصدر السابق ذكره، ج3، ص164، 165. المنذري. التكملة لوفيات النقلة، ج2، رقم 713 و7391، وج3، رقم 997 و1071. ابن الساعي، علي بن أنجب (ت674هـ/1275م). الجامع المختصر - بغداد، 1353هـ/1934، ج9، ص106.

ومن هؤلاء العلماء الذين قضوا في بغداد سنوات من عمرهم تعلموا فيها على أيدي العلماء العراقيين، أبو الحسن علي بن إبراهيم، المعروف بابن نجية⁽¹⁾، وقد اشتغل ابن نجية بعلم الحديث والفقه، وذهب إلى بغداد واتصل بعلمائها، ثم حدث في كل من: بغداد، ودمشق، والقاهرة، والإسكندرية، حتى توفي في القاهرة عام 599هـ/1202م⁽²⁾. ومن هذه الطبقة من العلماء محمد بن المنجا الدمشقي⁽³⁾، الذي تفقه في بغداد على الشيخ عبد القادر الجيلي⁽⁴⁾، وغيره من العلماء، ثم عاد إلى دمشق، فتولي التدريس بالمدرسة المسمارية⁽⁵⁾، حتى وفاته عام 606هـ/1209م.

أما أبو الفرج عبد الرحمن الجزري المعروف بابن الحنبلي⁽⁶⁾، فقد رحل في طلب الحديث والفقه إلى خراسان وأصبهان وبغداد ومصر، وصحب في بغداد أحد علمائها المشهورين وهو ابن المنى⁽⁷⁾، وتفقه عليه. وبعد ذلك حدث ووعظ بالبلاد التي دخلها كبغداد، وحلب، ومصر، وغيرها من البلاد الإسلامية، إلى أن تولى أخيراً التدريس بدمشق في كل من المدرسة المسمارية والصالحية⁽⁸⁾ حتى وفاته 634هـ/1236م. وكان تقي الدين أبو عمر بن الصلاح الكردي الشهرزوري⁽⁹⁾ أحد فضلاء عصره في الحديث واللغة والتفسير. ذهب ابن الصلاح في طلب الحديث إلى بلاد إسلامية كثيرة، لكنه اقتصر في نشاطه العلمي على بغداد

(1) ابن نجية الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم بن نجار زين الدين الأنصاري الدمشقي الحنبلي الواعظ. نزيل مصر، ولد عام 508هـ/1114م، وسمع من علي بن أحمد بن قيس المالكي، وكان من كبار العلماء، وكانت له وجهة عالية. الذهبي. العبر، ج3، ص126.

(2) ابن الساعي. الجامع المختصر، ج9، ص110. الذهبي. العبر، ج3، ص126.

(3) الذهبي. العبر، ج3، ص141. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص18، 19.

(4) هو أبو الفضل أحمد بن صالح الجيلي، أحد علماء بغداد البارزين في علم الحديث، توفي عام 565هـ/1169م، الذهبي. العبر، ج3، ص45، 46.

(5) أقام تلك المدرسة الحنبلية في دمشق الهلالي المتوفى عام 606هـ/1209م. النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج3، ص114، 115.

(6) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص700، 701. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص165، 166.

(7) هو أبو الفتح نصر بن فتيان المعروف بابن المنى، فقيه العراق وشيخ الحنابلة فيها. توفي في بغداد عام 833هـ/1187م. الذهبي. العبر، ج3، ص87.

(8) أنشأت تلك المدرسة لتدريس المذهب الحنبلي، ربعة خاتون ابنة عم نجم الدين أيوب المتوفاة عام 643هـ/1245م. النعمي. الدارس في تاريخ المدارس، ج3، ص245.

(9) ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج3، ص408، 410. البافعي. مرآة الجنان، ج4، ص108، 110. السبكي. طبقات الشافعية، ج5، ص137.

ودمشق، ولازم في بغداد معظم علمائها كابن طبرزد⁽¹⁾ وابن سكين⁽²⁾ وغيرهما من أئمة علم الحديث وأساتذته، كما أنه يلقي الحديث ويسمعه على الكثيرين من طلبة العلم العراقيين، غير أن ابن الصلاح عاد إلى بلاد الشام حيث تولى تدريس علم الحديث والفقه في المدرسة الناصرية بالقدس⁽³⁾، وكذلك في عدة مدارس أخرى بدمشق كالمدرسة الرواحية⁽⁴⁾ والشامية الجوانية، ومشيخة دار الحديث الأشرفية⁽⁵⁾ إلى أن توفي عام 643هـ / 1245م.

ومن العلماء المشهورين الشيخ أحمد بن يوسف الأنصاري⁽⁶⁾ الذي برع في علم الفقه على المذهب الحنفي، ودعي إلى بغداد التدريس المذهب الحنفي بالمدرسة المستنصرية، ثم عاد إلى حلب فتولى مهمة التدريس فيها حتى وفاته عام 649هـ / 1251م.

ومن أشهر العلماء الوافدين إلى العراق الشيخ عز الدين بن عبد السلام⁽⁷⁾ الذي لقب بسلطان العلماء؛ لأنه كان يجمع بين فنون العلم المختلفة من الحديث والفقه والتفسير، وبلغ مرتبة الاجتهاد في الإفتاء، فأقبل عليه طلبة العلم من جميع أنحاء البلاد الإسلامية، وظل الشيخ بها فترة قصيرة من الزمن، عاد بعدها إلى دمشق فتولى الخطابة في الجامع الأموي، ثم توجه الشيخ عز الدين إلى مصر عام 638هـ / 1240م، حيث فوض إليه منصب قاضي القضاة بها. واستمر الشيخ عز الدين بن عبد السلام قام بدور كبير في الدعوة بين المسلمين للجهاد وحثهم

(1) هو أبو حفص المعروف بابن طبرزد، من أشهر علماء الحديث في بغداد، سافر آخر عمره إلى الشام، قام بتدريس الحديث في إربل والموصل وحران وحلب ودمشق، وعاد إلى بغداد فتوفي بها عام 607هـ / 1210م. أبو شامة. ذيل الروضتين، ص70. الذهبي. العبر، ج3، ص146.

(2) هو عبد الوهاب بن عبيد الله المعروف بضيء الدين بن سكين مسند العراق ومحدثه، برز في علم الحديث وتوفي في بغداد عام 607هـ / 1210. السبكي. طبقات الشافعية، ج3، ص145، 146.

(3) وقف السلطان صلاح الدين الأيوبي تلك المدرسة عام 583هـ / 1181م في مدينة القدس على فقهاء الشافعين. النعمي. الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص331-333.

(4) أقام تلك المدرسة ذكي الدين أبو القاسم المعروف بابن رواحة، أحد التجار الأثرياء، المتوفى عام 623هـ / 1225م، ووقفها على فقهاء الشافعية. النعمي. الدارس في تاريخ المدارس، د1، ص265، 267.

(5) كانت هذه الدار للأمير صارم الدين فاجمار النجمي فاشتراها الملك الأشرف موسى، وجعل منها داراً لتدريس الحديث الشريف. النعمي. المصدر السابق، ج1، ص19.

(6) العيني، بدر الدين محمود (ت855هـ / 1451م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان؛ تحقيق محمد أمين - القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1412هـ، حوادث عام 649هـ.

(7) السبكي. طبقات الشافعية، ج5، ص80، 81. الفاسي، أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي المكي الحسني تقي الدين (ت832هـ / 1429). تاريخ علماء بغداد المسمى المنتخب المختار، ص105، 106. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص301، 302.

على قتال الصليبيين، عن طريق الوعظ والخطب الدينية التي كان يقلبها في المساجد أو في جبهات القتال، كما حظي الشيخ عز الدين بن عبد السلام بمنزلة كبيرة عند سلاطين بني أيوب والخلفاء العباسيين، ويذكر لنا ابن واصل وغيره من المؤرخين أن الشيخ عز الدين بن عبد السلام لما أفتى بعزل صاحب معين ابن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب من الوزارة لأمر أخذها عليه، قبل السلطان الصالح أيوب هذا الحكم الصادر من الشيخ عز الدين بن عبد السلام في حق وزيره معين الدين⁽¹⁾.

كما أن الخليفة العباسي المعتصم بالله رفض في الوقت نفسه قول ما جاء في الرسالة التي حملها رسول معين الدين إلى بغداد، وأجاب الخليفة الرسول بقوله: "إن معين الدين أسقطه الشيخ عز الدين من الحكم، فلا يرجع إلى مشافهته"⁽²⁾.

كذلك كان للعلماء الحنابلة من أهل الشام الذين قدموا إلى بغداد أثر كبير في الاهتمام بعلم الحديث والفقه وتدريسهما في كل من دمشق وبغداد والقاهرة، ومنهم الحافظ عبد الغني⁽³⁾ وعمه أبو محمد عبد الله الملق بالموفق⁽⁴⁾، وأخوه إبراهيم بن عبد الواحد المعروف بالعماد الحنبلي⁽⁵⁾، وابن أخيه شمس الدين أبو بكر بن العماد⁽⁶⁾، وقد قدمت هذه الأسرة الحنبلية من جماعيلي⁽⁷⁾ إلى دمشق، واتجه أفرادها إلى دراسة العلوم الدينية واللغوية، فطلب عبد الغني دراسة الحديث ورحل من أجله إلى كل من مصر ودمشق والموصل وأصبهان وخراسان

(1) المقرئ (ت832هـ/1429). السلوك لمعرفة دول الملوك؛ تحقيق محمد عبد القادر عطار - ط1 - دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م، ج2، ص197.

(2) ابن واصل. مفرج الكرب، ج2، ص68. النويري، شهاب الدين أحمد (ت732هـ/1331م). نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب - ط1 - القاهرة، 1342هـ/1923م، ج2، ص135. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م). حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - القاهرة، 1327هـ، ج2، ص162.

(3) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص519، 521. أبو شامة. ذيل الروضتين، ص46، 47. ابن كثير. البداية والنهاية، ج13، ص38، 39.

(4) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص627، 628. أبو شامة. ذيل الروضتين، ص140، 420. ابن شاعر الكتي. فوات الوفيات، ج1، ص433، 434.

(5) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص586، 587. أبو شامة. ذيل الروضتين، ص100، 104. الذهبي. العبر، ج3، ص129، 162.

(6) ابن العباد. شذرات الذهب، ج5، ص353، 354.

(7) جماعيلي: بالفتح وتشديد الميم، وهي قرية في جبل نابلس من أراضي فلسطين. الحموي. معجم البلدان، ج2، ص113.

وغير ذلك من البلاد الإسلامية، إلى أن أقدم إلى بغداد فاشتغل بعلم الحديث على علمائها المشهورين كابن الجوزي وابن المني، وبذلك أثرت رحلته التي لقي فيها كثيراً من علماء الحديث المشهورين على مكانته العلمية، فأصبح من أشهر أئمة علماء الحديث وحفظته في عصره، حتى لقب بالحافظ. وبعد أن حدث ببغداد عاد إلى دمشق فقرأ الحديث وأسمعه بالجامع الأموي برواق الحنابلة، غير أنه غادر دمشق إلى مصر فحدث بها حتى وفاته عام 600هـ / 1203م⁽¹⁾.

وأما الموفق والعماد الحنبلي وشمس الدين أبو بكر فقد جمعوا بين عدة علوم مختلفة كالحديث والفقه واللغة والنحو، وذهبوا جميعاً إلى بغداد، وتفقهوا على علمائها كابن الجوزي وابن المني وعبدالقادر الجيلي وغيرهم. وبعد ذلك عادوا إلى دمشق، فتولى كل من الموفق والعماد الحنبلي التدريس في الجامع الأموي برواق الحنابلة إلى أن توفي العماد عام 614هـ / 1217م والموفق عام 620هـ / 1223م⁽²⁾.

أما شمس الدين فقد انتقل إلى مصر، فتولى بها مشيخة خانقاه سعيد السعداء⁽³⁾، وكذلك التدريس بالمدرسة الصالحية⁽⁴⁾ حتى وفاته عام 676هـ / 1277م.

(1) الذهبي (ت748هـ/1348م). تذكرة الحفاظ؛ دراسة وتحقيق زكريا عميرات - ط1 - بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ/1998م، ج4، ص206، 207.

(2) الذهبي. العبر، ج3، ص180، 181.

(3) خانقاه سعيد العداء: أول خانقاه أنشئت في مصر وهي التي ينقطع عنها الشيخ للعبادة فترة غير قصيرة، ووقفها كان من الملوك الصالحين، ووقف وقفها بإذن النبي صلى الله عليه وسلم تقع هذه الخانقاه بخط رجة باب العبد من القاهرة كما يقول المقرئ: حي الجمالية الآن وكانت أول دار تعرف في عصر الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء، وهو كما يقول ابن ميسر: (بيان) ولقبه سعيد السعداء أحد الأستاذين المحنكين خدام قصر الخليفة المستنصر بالله الفاطمي. كانت هذه الدار مقابل دار الوزارة فلما تولى الصالح طلائع الوزارة سكنها وفتح من دار الوزارة إليها سرداباً تحت الأرض ليمر فيها. فلما استولى صلاح الدين الأيوبي على مصر وقف هذه الدار على الفقراء الصوفية الوافدين من البلاد النائية وذلك في سنة 569هـ وولي عليهم شيخاً ووقف عليهم كثيراً من الأوقاف من عقارية بالقاهرة وزراعية بالهنسا بالمنيا الآن وقد جاء في شرط الوقفية أن من مات من الصوفية وترك عشرين ديناراً فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان السلطاني، ومن أراد منهم السفر يعطي تسفيره ورثب للصوفية في كل يوم طعاماً ولحماً وخبزاً وبنى لهم حماماً بجوارهم، وهنا يقول المقرئ: فكانت أول خانقاه عملت بديار مصر وعرفت باسم (دويرة) الصوفية ونعت شيخها بشيخ الشيوخ. المقرئ. الخطط، ج2، ص344. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص318، 319.

(4) هذه المدرسة بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام 641هـ/1243م لتدريس المذاهب الأربعة كالمدرسة المستنصرية في بغداد. الذهبي: العبر، ج3، ص333. المقرئ. الخطط، ج2، ص374. السيوطي. حسن المحاضرة، ج2، ص263.

أشهر علماء مصر وبلاد المغرب والأندلس:

ومن ناحية أخرى فإن علماء وشيوخ الديار المصرية في القاهرة والإسكندرية ودمياط والصعيد، اهتموا بدراسة الحديث والفقه شأن إخوانهم علماء الشام والعراق، وذهب معظمهم إلى بغداد ودمشق وحلب ليتفقهوا ويسمعوا الحديث على علماء تلك البلاد. وكان لهم دورهم البارز في الحركة الثقافية ليس في مصر فقط وإنما في بلاد الشام والعراق أيضاً. ومن هؤلاء العلماء المصريين أبو إسحاق إبراهيم بن منصور الفقيه الشافعي⁽¹⁾ الذي ذهب إلى بغداد وتفقه على علمائها وحدث بها زمناً طويلاً حتى سمي بالعراقي الخطيب، ثم غادر بغداد إلى مصر وتولى الخطابة في بعض مساجدها حتى وفاته عام 596هـ/ 1199م، وغادر عبد المنعم بن عبد العزيز المعروف بابن النطروني⁽²⁾ مدينة الإسكندرية إلى بغداد حيث تفقه بها إلى أن عين شيخاً برباط العميد في بغداد حتى وفاته عام 603هـ/ 1206م، ورحل الشيخ أبو طاهر إسماعيل المعروف ابن الأنماطي⁽³⁾ في طلب الحديث إلى دمشق وبغداد، حيث تفقه ولازم العلماء فيهما كالتاج الكندي وابن طبرزد وابن سكيته، ثم عاد إلى دمشق فتوفي بها عام 618هـ/ 1221م. وقد الشيخ عبد السلام بن منصور الدمياطي⁽⁴⁾ من الديار المصرية وتفقه بالمدرسة النظامية، حيث سمع الحديث من أساتذتها، وبعد ذلك رجع إلى دمياط ومنها إلى القاهرة فتوفي بها عام 619هـ/ 1222م. أما عبد الله بن عبد الرحمن بن عمر الإسكندري⁽⁵⁾، فقد قدم إلى بغداد عام 633هـ/ 1235م وبصحبه أهله وأصحابه من الفقهاء المالكية فاختير معيداً بالمدرسة المستنصرية لتدريس الفقه المالكي. فدرس بالمدرسة المستنصرية اثني عشر درساً. ومن علماء الصعيد الذين ذهبوا إلى بغداد وتفقهوا على علمائها كل من الشيخ إسماعيل بن محمد الأسواني المتوفى بالقاهرة عام 599هـ/ 1202م، وهمام بن راجي المعروف بأبي الغنائم المتوفى بالقاهرة عام

(1) أبو إسحاق العراقي العلامة إبراهيم بن منصور المصري، الخطيب شيخ الشافعية بمصر. شرح كتاب المهذب، ولقب بالعراقي لاشتغاله ببغداد.

المنذري. التكملة لوفيات النقلة، ج2، رقم 532. الذهبي. العبر، ج3، ص114.

(2) ابن شاکر. فوات الوفيات، ج2، ص33.

(3) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص131.

(4) السبكي. طبقات الشافعية الكبرى، ج5، ص74.

(5) ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص110.

630هـ/ 1232م، والشيخ أبو الفتوح الحنفي المعروف بابن بصاقة المتوفى في دمشق عام 650هـ/ 1252م، وشهاب الدين إسماعيل بن حامد المتوفى في دمشق عام 653هـ/ 1255م وغيرهم⁽¹⁾، أما علماء الأندلس والمغرب فلم يكونوا أقل اهتماماً من إخوانهم علماء المشرق بالعلوم الدينية واللغوية والعمل على تحصيلها وتدريسها، ولهذا رحل معظمهم إلى مصر والشام والعراق للاجتماع هناك بأئمة الحديث وعلماء الفقه واللغة وعم بذلك قد شكلوا رباطاً ثقافياً بين بغداد من ناحية، ودمشق والقاهرة من ناحية أخرى، يتضح ذلك من الجهد العلمي الكبير الذي قام به علماء الأندلس في تلك المدن، وما كان له من آثار في تدعيم الصلات العلمية بين مصر والشام وبغداد في ذلك الدور. ومن أهم هؤلاء العلماء وأشهرهم أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية⁽²⁾، الذي رحل من الأندلس في طلب الحديث إلى كل من مصر والشام وبغداد وخراسان، وكثيراً ما تردد في دمشق على العالم اللغوي والمحدث المشهور تاج الدين الكندي، غير أن السلطان الكامل الأيوبي استدعاه إلى القاهرة ليكون شيخاً بدار الحديث الكاملية⁽³⁾. فبقى ابن دحية يدرس الحديث والفقه في تلك الدار حتى وفاته في مصر عام 633هـ/ 1235م. ويذكر اليونيني⁽⁴⁾ وغيره أن أبا عبد الله بن أبي الفضل الأديب النحوي خرج من المغرب إلى مصر عام 607هـ/ 1210م ثم توجه إلى مكة وبغداد ففتقه بالمدرسة النظامية ودرس بها أصول الفقه واللغة، ثم سار ابن أبي الفضل في طلب الحديث إلى خراسان ونيسابور ومرووهرة، وعاد بعد ذلك إلى بغداد ومكة وحلب

(1) الأذفودي، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت748هـ/ 1348م). الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد؛ تحقيق أسعد محمد حسن - القاهرة، 1966م، ص165، 290، 436، 676، 680. النويري. نهاية الأرب، ج27، ص10255. السبكي. طبقات الشافعية، ج5، ص164.

(2) ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج3، ص121، 121. الذهبي. العبر، ج3، ص217. ابن كثير. البداية والنهاية، ج13، ص144، 145.

(3) أنشأها الملك الكامل عام 621هـ/ 1224م ووقفها على المشتغلين بدراسة علم الحديث، وبني قبله نور الدين دار الحديث في دمشق. السيوطي. حسن المحاضرة، ج2، ص262.

(4) الحموي. إرشاد الأريب، ج1، ص16، 18. اليونيني. ذيل مرآة الزمان، ج1، ص76، 77. الصفدي، صلاح الدين ابن أبيك (ت764هـ/ 1363م)، الوافي بالوفيات؛ تحقيق ر.س ريدر بينغ - ط2، 1394/ 1974م، ج3، ص354، 355.

ودمشق لسمع الحديث ويقرأه على الطلبة في تلك البلاد، غير أنه رجع إلى مصر مرة أخرى عام 624هـ/ 1226م فقضى بقية حياته العلمية فيها حتى وفاته عام 655هـ/ 1257م⁽¹⁾.

ومن أشهر العلماء الأندلسيين الذين شكلوا رباطاً ثقافياً بين بغداد ودمشق والقاهرة، أبو عبد الله محمد الأنصاري المعروف بابن اليتيم⁽²⁾، والزكي البرزالي الإشبيلي اللذان اشتغلا بعلم الحديث ورحلا من أجله إلى الإسكندرية ودمشق وحلب والموصل وبغداد ومرو وخراسان؛ غير أنهما عادا مرة أخرى إلى بلاد الشام، فأخذوا يدرسان بها علم الحديث إلى أن توفي ابن اليتيم في دمشق عام 621هـ/ 1224م والزكي البرزالي في حماة عام 636هـ/ 1238م⁽³⁾.

يضاف إلى ذلك أن أرسل وسفراء الخلافة العباسية وسلاطين بني أيوب الذين تنقلوا في مهمات رسمية بين مصر والشام وبغداد، لم يقتصر دورهم على الناحية السياسية في ذلك الدور، بل كانت لهم مشاركتهم في الحياة الثقافية، فقد كان كل رسول من هؤلاء عالماً وفقهياً كبيراً قبل أن يكون سياسياً وسفيراً ماهراً، ولذلك عمد أغلب هؤلاء الرسل، بعد قضاء مهمتهم الرسمية مع الخليفة العباسي أو السلطان الأيوبي، إلى الاتصال بزملائهم من العلماء والفقهاء فيتناظرون معهم في مختلف العلوم الفقهية واللغوية، أو الذهاب إلى المدارس والجوامع فلقاء بعض دروس الحديث والفقه والتفسير على الطلبة الدارسين، على أن تلك المجالس والندوات العلمية والأدبية، لم تكن تخلو في بعض الأحيان من مشاركة بعض الخلفاء العباسيين وبعض ملوك بني أيوب.

ومن أشهر سفراء الخلافة العباسية الذين شغلوا مهمة التدريس والوعظ في بلاد الشام ومصر، محيي الدين بن عبد الرحمن الجوزي، ونجم الدين البادرائي، فبالإضافة إلى اشتغالهما بالسفارة، فإن كل واحد منهما كان أستاذاً

(1) الذهبي. العبر، ج3، ص277.

(2) ابن اليتيم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الأنصاري، ولد عام 544هـ/ 1150م، خطيب المرية. رحل في طلب الحديث، وتوفي عام 621هـ. الذهبي. العبر، ج3، ص184.

(3) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص168. الذهبي. العبر، ج3، ص184، 185 - الصفدي. الوافي بالوفيات، ج2، ص116. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص181.س

علماً فقيهاً؛ إذ ألقى ابن الجوزي بالمدرسة المستنصرية دروساً في الفقه الحنبلي عام 632هـ/ 1234م، واشتغل البادرائي مدرساً للحديث والفقه في المدرسة النظامية عام 639هـ/ 1242م. ونظراً لكثرة ترددها إلى دمشق وحلب والقاهرة؛ فإنهما كثيراً ما حدثا بتلك البلاد ودرسا بمدارسها خاصة في مدينة دمشق⁽¹⁾ ولم يكتفيا بذلك؛ فقد شيذا مدرستين بدمشق على نفقتهما الخاصة عرفت الأولى باسم المدرسة الجوزية⁽²⁾، والثانية باسم المدرسة البادرائية⁽³⁾.

واشتهر شهاب الدين السهروردي⁽⁴⁾ بالوعظ وتدريس الحديث، وكثيراً ما كانت تقام له حلقات وندوات علمية في البلاد التي تنقل إليها كدمشق وحلب والقاهرة، فيقرأ الحديث ويسمعه على الحاضرين فيها. وكان ممن يحضر مجالسه العلمية والدينية في جامع حلب الملك الظاهر غازي⁽⁵⁾، مصطحباً معه كبار الأمراء الفقهاء كالقاضي بهاء الدين بن شداد وغيره. كما أن السهروردي اجتمع في مصر بفقهاء ورجال الصوفية، من أمثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والشاعر الصوفي ابن الفارض المتوفى عام 630هـ/ 1232م. ولم تكن تلك اللقاءات بينهما تخلو من المناظرات والمساجلات الأدبية حتى إن السهروردي ألبس كلاً منهما خرقة التصوف في أحد هذه اللقاءات⁽⁶⁾. ولما قام الخليفة العباسي الناصر لدين الله بجمع وتأليف مجموعة من الأحاديث الدينية المشهورة في

(1) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص198. البيهقي. ذيل مرآة الزمان، ج1، ص71، 73، 332، 338، 340. ابن كثير. الحوادث الجامعة، ص177، 352.

(2) عُرفت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها محي الدين ابن الجوزي الذي قام بتأسيسها بدمشق في عهد الملك الصالح إسماعيل ووقفها الخنابلة، وكان ابن الجوزي أول من تولى التدريس بها. النعمي، الدارس في تاريخ المدارس، ج2، ص29، 32.

(3) كانت هذه المدرسة داراً لأسامة الجيلي، أحد كبار الأمراء في دمشق، اعتقله الملك العادل الكبير في الكرك عام 609هـ/ 1212م، واستولى على أملاكه، فاشترى الشيخ نجم الدين البادرائي تلك الدار من ماله الخاص وعمرها مدرسة على المذهب الشافعي، ثم عمل بها خزانة كتب، وكان البادرائي أول من درس بها حيث حضر درسه الملك الناصر داود وسائر أرباب ووجهاء الدولة والعلماء. النعمي. الدارس في تاريخ المدارس، ج1، ص205، 207.

(4) شهاب الدين السهروردي أبو حفص وأبو عبد الله عمر بن محمد شيخ العارفين، ولد سنة 539هـ بسهرورد، وتفقه وصنف الكثير من التصانيف، تولى مشيخة العراق، توفي سنة 632هـ. الذهبي. العبر، ج3، ص213.

(5) الملك الظاهر غازي صاحب حلب. والد السلطان صلاح الدين الأيوبي، ولد بمصر عام 568هـ، وكان صاحب رأي ودماء ومصادفة للملوك النواحي فيوهمهم أنه لولا هو لقصدتهم عمه العادل، ويوهم عمه لولا هو لقصدته الملوك وشافوه، وكان سمحاً جواداً، توفي عام 613هـ. الذهبي. العبر، ج3، ص160.

(6) ابن واصل. مفرج الكروب، ج3، ص228، 232، 233، ج4، ص165، 166.

كتاب أطلق عليه اسم (روح العارفين)، رغب الخليفة في الوقت نفسه أن يقرأ كتابه في بلاد الشام ومصر وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى، فبعثه مع رسوله السهروردي إلى بلاد الشام ومصر عام 612هـ/ 1215م، فأخذ السهروردي يقرأ ما جاء في ذلك الكتاب في مساجد دمشق وحلب والقاهرة، بحضور كبار الأمراء ورجال الدولة الأيوبية⁽¹⁾. كما أن الخليفة الناصر أرسل نسخة من كتابه المذكور بصورة خاصة إلى الملك الأشرف موسى⁽²⁾.

أما سفراء ملوك بني أيوب إلى الخلافة العباسية، فقد قاموا بدور مشابه لإخوانهم العراقيين، فهذا ضياء الدين السهروردي والقاضي بهاء الدين بن شداد رسولاً صلاح الدين الأيوبي إلى كل من الخليفة العباسي المستضيء والناصر لدين الله كثيراً ما كانا يلقيان دروس الحديث والفقه على الطلبة في أثناء وجودهما في بغداد، ومن المعروف أنهما تخرجا في المدرسة النظامية، ولذلك كانا يحرصان في كل مرة على الاجتماع بعلمائها وفقهائها، وبلغا منزلة كبيرة عند الخليفة الناصر، حتى إنه أمر بتعيين السهروردي قاضياً للقضاة، ليس في بغداد فحسب وإنما في بلاد الشام أيضاً⁽³⁾. وذكر الذهبي وغيره أن القاضي كمال الدين عمر بن العديم⁽⁴⁾ رسول الملك الناصر يوسف إلى الخليفة العباسي المستعصم تفقه على علماء بغداد كابن طبرزد وتاج الدين الكندي وغيرها. كما أن ابن العديم أهدى الخليفة المستعصم في سفارته الأولى لبغداد ثلاثمائة مجلد مخطوط في مختلف العلوم الدينية والفقهية، وما اشتهر للكمال المعروف بابن العديم كتابان: كتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب) وهو كتاب مطول موسع حقق ما بقي منه في ثلاثة عشر مجلداً سهيل زكار وهو لطوله وسعته انبثق عنه أكثر من كتاب، منها ما استخلصه ابن العديم ذاته وأخرجه في كتاب سماه؛ (زبدة الحلب في تاريخ حلب)؛ حققه سامي الدهان وأصدره في ثلاثة أجزاء، ثم قام بتحقيقه ثانية سهيل زكار وصدر في جزأين عن دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع سنة 1997م،

(1) البيهقي. مرآة الجنان، ج4، ص78. ابن كثير. البداية والنهاية، ج13، ص138.

(2) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص93. الأربلي. خلاصة الذهب المسبوك، ص281.

(3) أبو شامة. ذيل الروضتين، ص93. ابن الساعي. الجامع المختصر، ج9، ص102، 103. السبكي. طبقات الشافعية، ج4، ص298، ج5، ص151، 125.

(4) كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن جرادة العقيلي الحلبي. تفقه على يد ابن طبرزد، والكندي بدمشق، كان صاحب رأي وفضل وحزم وكتابة وبلاغة. درس وأفتى وصنف وجمع تاريخ حلب نحو ثلاثين مجلداً، توفي سنة 660هـ/ 1260م. الذهبي، العبر، ج3، ص300.

واختصار (زبدة الحلب) الحنبلي المتوفى سنة 971هـ في كتاب صغيره سماه (الزبد والضرب في مملكة حلب) وصدر ضمن منشورات مركز المخطوطات والتراث في الكويت سنة 1988م بتحقيق الدكتور محمد التونجي. وكثيراً ما كان يلقي الحديث ويسمعه في كل من بغداد ودمشق وحلب والقدس⁽¹⁾.

أما القاضي شهاب الدين بن أبي الدم رسول الملك المظفر تقي الدين أمير حماة إلى الخليفة المستنصر بالله، فقد ذهب إلى بغداد منذ طفولته ودرس بالمدرسة النظامية إلى أن برز في علمي الأدب والتاريخ، وخلع عليه الخليفة الناصر خلعاً كثيرة، تقديرًا منه لكفايته العلمية⁽²⁾، كما أن القاضي ابن أبي الدم حدث ببغداد وفي كثير من مدن الشام⁽³⁾، وكان نجم الدين خليل رسول الملك العادل إلى الخليفة الناصر يستغل فرصة إقامته في بغداد، ليلتقي مع علماء وفقهاء المدرسة النظامية ويتناظر معهم في مختلف الشؤون الدينية⁽⁴⁾، وذكر بعض المؤرخين أن الملك الناصر داود حضر افتتاح المدرسة المستنصرية عام 631هـ / 1233م؛ أثناء وجوده في بغداد، وسمع عدة دروس بها، كما أنه تناظر مع نفر من علمائها في مختلف العلوم وأساليب الشعر⁽⁵⁾.

ينضح من تراجم العلماء والشيوخ السابقين أنهم اهتموا بصورة خاصة بدراسة وتدريس علم الحديث والتفسير والفقه واللغة العربية وآدابها، بل إن دراسة علم الحديث وتدريسه كانت غاية العلماء من وراء رحلاتهم التي قاموا بها في كل من بغداد ودمشق وحلب والموصل والقاهرة وغيرها من البلاد الإسلامية تمثيلاً من طبيعة روح ذلك العصر؛ لأن العلوم الدينية كانت هي الأصل والأساس دائماً. أما باقي العلوم الأخرى كالرياضيات والفلك والطب والفلسفة والمنطق، فلم يكن حظها من البحث والدراسة قليلاً، خاصة الفلسفة والمنطق حتى إن كل من بحث في تلك العلوم وتطرق في آرائه، كان يتهم في ذلك الوقت بفساد عقيدته، بل ويصل الأمر إلى نعتة بالكفر

(1) الذهبي. العبر، ج3، ص300. ابن شاکر. فوات الوفيات، ج2، ص200، 201. الخزرجي، العسجد المسبوك، حوادث عام 648هـ.

(2) ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص213. ابن واصل. مفرج الكروب، ج4، ص174.

(3) ابن واصل. مفرج الكروب، ج4، ص174. ابن لعماد. شذرات الذهب، ج5، ص213.

(4) ابن الساعي. الجامع المختصر، ج9، ص383، 384.

(5) اليونيني. ذيل مزاة الزمان، ج1، ص136، 137. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص81، 84.

والإلحاد⁽¹⁾. ويعود السبب، كما سبق القول، على الرغبة المشتركة لدى الخلفاء العباسيين وسلاطين بني أيوب في القضاء على أصول المذهب الشيعي وتثبيت أركان المذهب السني، وتنقية العقيدة مما علق بها من أفكار شيعية تتعارض وتعاليم السنة⁽²⁾.

ومن اشتغل بعلم الفلسفة والمنطق، بالإضافة إلى بعض العلوم الدينية، يحيى السهروردي، والسيف الأمدي. أما يحيى السهروردي فهو أبو الفتوح يحيى بن حبشي⁽³⁾ قدم من العراق إلى بلاد الشام عام 579هـ/ 1183م، واستقر في مدينة حلب يدرس بمدارسها وينظر علماءها في مختلف العلوم الدينية والفلسفية، فقربه صاحبها الملك الظاهر غازي وخصه بعنايته؛ إلا أن فقهاء حلب لم يعجبهم حديث يحيى السهروردي، فأخذوا عليه مآخذ كثيرة حتى أفتوا جميعاً بقتله، وكتبوا بذلك محضراً إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي، حيث حذروه من استمرار بقاء يحيى السهروردي في حلب، خشية أن يفسد عقيدة الناس بها، عندئذ أوعز صلاح الدين إلى ولده الظاهر غازي أن يأمر بقتله، فمات السهروردي مقتولاً في حلب عام 587هـ/ 1191م⁽⁴⁾.

والسيف الأمدي هو أبو الحسن علي بن سالم التغلبي المقلب بسيف الدين⁽⁵⁾ كان في بداية أمره حنبلي المذهب ثم أصبح شافعيّاً مثل السهروردي. ذهب سيف الدين إلى بغداد وتفقّه على نفر من علمائها، ثم انتقل إلى مصر 592هـ/ 1195م، فأخذ يدرس علم الحديث والفقه والفلسفة والمنطق في مدارسها خاصة في المدرسة الناصرية. غير أن فقهاء مصر لم يرقهم أن يجدوا بينهم فقهياً يزاول التدريس بالعلوم الفلسفية، ففعلوا معه مثلما فعل

(1) من ذلك مثلاً الفتاوى التي كان يصدرها العلماء والفقهاء بين الحين والآخر ضد كل شخص يتطرق في دراسة علم الفلسفة والمنطق، خاصة تلك الفتوى المشهورة التي أصدرها ابن الصلاح الشهرزوري في دمشق حول ذلك الموضوع، السبكي. طبقات الشافعية، ج4، ص129، 131، ج5، ص159، 162. جولدتسيهر. التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية - القاهرة، 1937م، ص129، 131، 158، 163.

(2) عبد الغني عبد العاطي. التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك - القاهرة: دار المعارف، 1984م، ص65، 66.

(3) الحموي. إرشاد الأريب، ج7، ص269. ابن أبي أصيبعة. عيون الأنباء، ج3، ص273، 274. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج5، ص312، 317، الذهبي. العبر، ج3، ص95، 96.

(4) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص427. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج3، ص361.

(5) القفطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت 646هـ/ 1248). تاريخ الحكماء، ص240، 241. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج3، ص294. السبكي. طبقات الشافعية، ج5، ص129، 130.

إخوانهم فقهاء حلب مع يحيى السهروردي؛ إذ نسبوا إليه فساد العقيدة واستباحوا دمه. عند ذلك خاف سبق الدين على حياته فترك البلاد وخرج إلى بلاد الشام، فمكث فيها بقية حياته يعمل بالتدريس والتأليف حيث عهد إليه الملك المعظم عيسى بالتدريس في المدرسة العزبية بدمشق؛ إلا أن الملك الأشرف موسى عزل سيف الدين ومعه من التدريس في تلك المدرسة، ولم يكتب بهذا الإجراء، بل أعلن الملك الأشرف أن كل من يذكر في التدريس غير العلوم الدينية واللغوية سيكون مصيره النفي من البلاد. فلزم سيف الدين بيته ولم يخرج منه حتى وفاته عام 631هـ / 1223م⁽¹⁾.

ولم تقتصر الصلات العلمية بين مصر والشام وبعداد على طلب العلوم الدينية واللغوية، وإنما كان للأدب دور آخر ونصيب ملحوظ في نمو وازدهار تلك العلاقة؛ فقد شاركت أدباء البلاد الإسلامية في حركة الجهاد الديني في ذلك الوقت، كل حسب مقدرته، سواء كانت المشاركة بالشعر أو النثر، وقد غلب شعراء الحماسة على شعراء تلك الفترة مواكبة لظروف الحروب بين المسلمين والصليبيين. فهذا شاعر الخلافة العباسية ابن التعاويذي⁽²⁾ لم يملك إلا أن يشارك المسلمين في مصر والشام فرحتهم بانتصارات صلاح الدين المستمرة على الصليبيين؛ ولهذا قام بنظم بعض القصائد حول ذلك الموضوع. فمثلاً عندما انتصر صلاح الدين على الصليبيين في موقعة مرج عيون عام 576هـ / 1180م أرسل ابن التعاويذي من بغداد قصيدة حماسية إلى صلاح الدين، عبر فيها عن تقديره وإعجابه بشجاعته وكفايته في تحقيق ذلك الانتصار الكبير⁽³⁾. كما أرسل ابن التعاويذي قصيدة أخرى إلى صلاح الدين عام 580هـ / 1184م، هنأه فيها بالخلع التي أرسلها إليه الخليفة العباسي الناصر⁽⁴⁾. ومن جانب آخر

(1) الذهبي. العبر، ج1، ص110. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص145.

(2) هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله التعاويذي، من أشهر شعراء العراق في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كان كاتباً بديوان المقاطعات في بغداد، كتب ديواناً في أربعة فصول قبل أن يفقد بصره عام 579هـ / 1183م، وتوفي في بغداد عام 583هـ / 1187م. الحموي. إرشاد الأريب، ج7، ص31. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج4، ص90، 97.

(3) أبو شامة. ذيل الروضتين، ج2، ص10، 138. ابن شاهنشاه الأيوبي، تقي الدين محمود بن أحمد (ت 773هـ / 1371م)؛ مضمّن الحقائق، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ 1246م، ص20، 23.

(4) ابن شاهنشاه الأيوبي. المصدر السابق ذكره، ص192، 197.

كانت هناك اتصالات ومراسلات مع صلاح الدين، حيث إنهما كانا على علاقات ودية منذ أن كان عماد الدين مقيماً في بغداد، وكثيراً ما تبادلوا الرسائل السرية والقصائد الشعرية في مناسبات كثيرة⁽¹⁾. كما أن عماد الدين نفسه مدح الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله بقصائد كثيرة عندما أعلن صلاح الدين عودة مصر إلى حظيرة الخلافة العباسية⁽²⁾. وينبغي الإشارة هنا إلى الرسائل الديوانية الكثيرة التي كتبها العماد الأصفهاني والقاضي الفاضل وضياء الدين ابن الأثير وغيرهم، وعلى لسان صلاح الدين وخلفائه من سلاطين بني أيوب إلى الخلفاء العباسيين، ومع أن تلك الرسائل النثرية الديوانية كانت ذات طابع سياسي، إلا أن كل رسالة منها كانت قطعة أدبية رائعة، وأكثر الملك الناصر داود من كتابة القصائد الشعرية في مدح خلفاء بني العباس، كالخليفة المستنصر بالله وابنه المستعصم، وكان الناصر داود يهدف من وراء ذلك إلى تقربه من الخلافة العباسية، كي تساعد على تحقيق أهدافه السياسية⁽³⁾.

يضاف إلى ذلك الاتصالات والمراسلات الأدبية بين الأدباء والشعراء في مصر والشام وبغداد، حيث تكررت رحلاتهم ما بين بغداد ودمشق والقاهرة، وذلك من أجل التقرب إلى الخلفاء العباسيين وسلاطين بني أيوب، ومن هؤلاء الأدباء أبو الفتح نصر بن منصور المعروف بالشاعر النميري الذي غادر وطنه بلاد الشام متجهاً إلى بغداد لكي يعالج بصره الذي فقده وهو في ريعان الشباب، وهناك اتصل ببلاط الخلافة العباسية، فأكثر من قول الشعر في مدح الخلفاء العباسيين ووزرائهم، وظل مقيماً في بغداد حتى وفاته عام 588هـ/1192م⁽⁴⁾ ومن شعراء هذه الطبقة الشاعر علي بن نصر بن عقيل البغدادي المعروف بالهمام، فقد قدم إلى بلاد الشام عام 595هـ/1198م، وحظي عند الملك العادل الكبير، فأكثر من مدحه ومدح كذلك الملك الأجد صاحب

(1) الحموي، إرشاد الأريب، ج7، ص31. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج4، ص95، 96.

(2) لم يقتصر عماد الدين الأصفهاني في قصائده الشعرية على مدح خلفاء بني العباس، وإنما كانت له قصائد أخرى مدح فيها بعض وزراء الخلافة العباسية. الأصفهاني: عماد الدين (597هـ/1200م). خريدة القصر وجريدة العصر، أرق العراقي، ص12، 16، 36، 37، 64، 71، 167، 177. أبو شامة. ذيل الروضتين، ج1، ص503، 504، 548.

(3) اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج1، ص134، 135، 168، 170. العمري. غاية المرام، ص160، 162.

(4) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص421. ابن العماد. شذرات الذهب، ج4، ص296.

بعلبك، وتوفي الهمام في بلاد الشام عام 596هـ / 1199م⁽¹⁾. وكان الشاعر أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الإسكندراني عالماً فاضلاً وأديباً شاعراً، اتخذ من بغداد مكاناً لإقامته الدائمة حتى وفاته عام 603هـ / 1206م، ولزم في خلال تلك المدة الخليفة الناصر ومدحه بقصائد شعرية، فأنعم عليه الخليفة بخلع كثيرة⁽²⁾. وأما الأديب عبد المنعم بن مظفر الغساني الجلياني فكان حكيماً يمارس بالطب بالإضافة إلى قول الشعر. غادر الجلياني بلاد الأندلس إلى بغداد واتصل بأعيانها وأدبائها، ثم ترك بغداد وقدم إلى دمشق، فأصبح من المقربين لدى السلطان صلاح الدين، وبقي في دمشق حتى وفاته عام 603هـ / 1206م⁽³⁾.

ومن أشهر شعراء العصر شرف الدين أبو المحاسن محمد بن نصر الله بن مكارم ابن حسن الدمشقي المعروف بابن عنين، وقد تفوق ابن عنين على شعراء عصره، وبرز في شعر المدح والهجاء، وظل معظم حياته متنقلاً ما بين العراق ومصر ومكة واليمن والهند وخراسان وغير ذلك من البلاد الإسلامية، وساعدته تلك الرحلة الطويلة على الاتصال بمعظم الأدباء والشعراء في تلك البلاد قبل وفاته في دمشق عام 630هـ / 1232م⁽⁴⁾.

الخاتمة:

وخلاصة القول؛ إن الصلات العلمية بين الأيوبيين في مصر والشام والخلافة العباسية في بغداد كانت مزدهرة؛ بغض النظر عن طبيعة العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين الطرفين، إلا أنها كما يبدو لم تكن تعارض أو تقاوم هذه الصلات وليس أدل على ذلك من أن جموع العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء العراقيين والمصريين والشاميين، توافدوا في أعداد كبيرة على كل من القاهرة والإسكندرية ودمشق وحلب وبغداد، مما ساعد على زيادة نشاطهم وإنتاجهم العلمي والأدبي في مختلف العلوم الدينية واللغوية.

(1) سبط ابن الجوزي. مرآة الزمان، ج8، ص474.

(2) ابن الساعي. الجامع المختصر، ج9، ص210. ابن سعيد الأندلسي، علي بن محمد (ت 685هـ / 1286ن). الغصون البانعة في محاسن شعراء المئة السابعة - القاهرة: دار المعارف، ص89.

(3) الجلياني (بكسر الجيم وسكون اللام) وهو حصن كبير بالأندلس يشتهر بالفواكه. الحموي. معجم البلدان، ج2، ص109.

(4) الحموي. إرشاد الأريب، ج7، ص121. ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج4، ص106، 110. الذهبي. العبر، ج3، ص308.

كما كان هناك عصر إحياء السنة من علماء وفقهاء مصر والشام وبغداد؛ وذلك بدراسة وتدريس علم الحديث والفقه والتفسير، خاصة علم الحديث، والاهتمام بأسانيده وحفظها التي كانت غاية العلماء في ذلك الوقت؛ مما جعلهم يقومون بكثير من الرحلات من أجل ذلك وأيضاً لم يكن هناك فصل بين العلوم الدينية والعلوم الأخرى، بل كانوا يهتمون بعلوم اللغة العربية التي تعد من الدرجة التالية للعلوم الدينية؛ ولهذا كان هناك تميز بين العلماء في علم من العلوم التي تؤدي إلى شهرتهم.

ومما يلفت النظر أن بغداد التي كانت غنية بعلمائها حتى أواخر القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، بدأت منذ أواخر القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، تفقد تدريجياً زعامتها العلمية والأدبية، وانتقل ذلك النشاط العلمي والأدبي من بغداد إلى بلاد الشام ومصر، ويعود السبب في ذلك إلى عوامل كثيرة منها: ضعف نفوذ الخلافة العباسية السياسي، وما ترتب عليه من اضطراب الأمن وعدم الاستقرار في أحوال العراق الداخلية، وموقف الخلافة السليبي إلى حد ما من حركة الجهاد الديني ضد الصليبيين، وإخفاقها في رفع الخطر المغولي، يضاف إلى ذلك تشجيع سلاطين وملوك بني أيوب للعلم، وتوفير سبل الرعاية لهؤلاء العلماء والاهتمام بهم. كل ذلك يفسر إلى حد بعيد انتقال معظم العلماء والفقهاء العراقيين إلى بلاد الشام ومصر وتفضيلهم الإقامة الدائمة بهما، حيث وجدوا ضالّتهم المنشودة من الرعاية والاستقرار، مما ساعدهم على البحث والتأليف والتدريس في مختلف العلوم والفنون.

وعلى هذا الأساس يمكن القول؛ إن العلماء والفقهاء من أهل العراق، بالتعاون مع إخوانهم علماء الشام ومصر، لهم فضل سابق وأثر كبير في نضج وازدهار الحركة العلمية والثقافية في بلاد الشام ومصر في عصر سلاطين الأيوبيين، يضاف إلى ذلك أن سقوط الخلافة العباسية في بغداد كان من أهم أسباب تسنم مصر والشام مركز الصدارة العلمية والأدبية في العالم الإسلامي لتصبحا المكان الطبيعي الذي يقصده العلماء والأدباء من مختلف البلاد الإسلامية في أواخر العصور الوسطى.

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة:

- الحنبلي، ضياء الدين إبراهيم بن محمد (ت850هـ/1416م). شفاء القلوب، مخطوط دار الكتب المصرية، تاريخ، 6548، تاريخ، رقم 5275.
- ابن شاهنشاه الأيوبي، تقي الدين محمود بن أحمد (ت773هـ/1371م). مضمار الحقائق، مخطوط بدار الكتب المصرية، تاريخ 1246م.
- العمري (ت864هـ/1459م). غاية المرام، مخطوط دار الكتب المصرية، تاريخ 19473.

المصادر المطبوعة:

- ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1232م). الكامل في التاريخ - القاهرة، 1357هـ/1938م.
- الأدفودي، أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت748هـ/1348م). الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد؛ تحقيق أسعد محمد حسن - القاهرة، 1386هـ/1966م.
- الأربلي، عبد الرحمن بن إبراهيم سنبط فينو (ت717هـ/1317م). خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك؛ تصحيح مكّي السيد جاسم.
- الأصفهاني، عماد الدين (597هـ/1200م). خريدة القصر وخريدة العصر، أرق العراقي.
- ابن أبي أصيبعة، أحمد بن القاسم بن خليفة (ت668هـ، 1289م). عيون الأنباء في طبقات الأطباء؛ تحقيق نزار أحمد رضا - بيروت، 1385هـ/1965م.
- البغدادي، موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف (ت629هـ/1231م). الإفادة والاعتبار - القاهرة، 1347هـ/1928م.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت 874هـ / 1469م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - القاهرة: دار الكتاب، 1348هـ / 1929م.
- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكتاني الأندلسي، (ت 614هـ / 1217م). الرحلة؛ تحقيق حسن نصار - القاهرة، 1388م، 1968م.
- ابن الجوزي. شمس الدين أبو المظفر يوسف قزوغلي (ت 684هـ / 1285م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان؛ تحقيق مسفر سالم الغامدي - مكة المكرمة: معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، 1407هـ / 1987م.
- الحموي. ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ / 1228م). إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء؛ تحقيق مرغوليوث - دافيد صمويل - ط - القاهرة، 1346هـ / 1921م، معجم البلدان - بيروت: دار صادر، 1404هـ / 1984م.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت 681هـ / 1282م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق محيى الدين بن عبد الحميد - القاهرة، 1368هـ / 1948م.
- الخزرجي، أبو العباس إسماعيل بن العباس بن رسول الغساني (ت 803هـ / 1400م). العسجد المسبوك والجواهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك؛ تحقيق شاعر عبد المنعم - بغداد: دار البيان، 1395هـ / 1975م.
- الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ / 1347م). العبر في خبر من غير: تحقيق صلاح الدين المنجد - الكويت، 1381هـ / 1961م. تذكرة الحفاظ: دراسة وتحقيق زكريا عميرات - ط 1 - بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ / 1998م.

- ابن سعيد الأندلسي، علي بن محمد بن سعيد المغربي (ت685هـ / 1286م). الغصون البانعة في محاسن شعراء المئة السابعة - القاهرة: دار المعارف.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت771هـ / 1369م). طبقات الشافعية الكبرى؛ تحقيق عبد الفتاح الحلو - ومحمد الطناجي - القاهرة، 1384هـ / 1964م.
- ابن الساعي، علي بن أنجب (ت877هـ / 1472م). الجامع المختصر - بغداد، 1353هـ / 1934م.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ / 1505م). حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة - القاهرة، 1327هـ.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ). الوافي بالوفيات؛ تحقيق ر.س ريدر بينغ - ط2، 1394هـ / 1974م.
- العيني، بدر الدين محمود (ت855هـ / 1451م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان؛ تحقيق محمد أمين - القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، 1412هـ / 1991م.
- ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي الحنبلي (ت1089هـ / 1678م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ تحقيق لجنة التراث القومي - بيروت: دار الأوقاف، د.ط.
- ابن الفوطي، عبد الرازق بن أحمد (ت731هـ / 1330م). الحوادث الجامعة والتجارب النافعة؛ تحقيق بشار عواد معروف، عماد عبد السلام رؤوف - ط1 - بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1418هـ / 1997م.
- أبو الفداء، الملك المؤيد إسماعيل (ت723هـ / 1323). المختصر في أخبار البشر - القاهرة، 1325هـ / 1907م.
- الفاسي، محمد بن أحمد (ت958هـ / 1551م). تاريخ علماء بغداد - بغداد، 1357هـ / 1938م.

- الففطي، أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف (ت646هـ / 1248م). تاريخ الحكماء.
- ابن كثير، عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت774هـ / 1372م). البداية والنهاية - بيروت، 1364هـ / 1944م.
- الكتي، أبو عبد الله محمد بن شاكر (ت764هـ / 1362م). فوات الوفيات؛ تحقيق إحسان عباس - بيروت: دار صادر.
- المقدسي، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل (ت665هـ / 1266م). ذيل الروضتين - بيروت: دار الجليل.
- المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله (ت656هـ / 1258م). التكملة لوفيات النقلة - ط2 - بيروت: مؤسسة الرسالة، 1401هـ / 1981م.
- المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت832هـ / 1429م). الخطط المقرئية المسماة المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، د.ط، مكتبة الأدب (د.ت). السلوك لمعرفة دول الملوك؛ تحقيق محمد عبد القادر عطار - ط1 - بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ / 1997م.
- النويري، شهاب الدين أحمد (ت732هـ / 1332م). نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب - ط1 - القاهرة، 1923م.
- النعمي، عبد القادر محمد بن عمر (ت927هـ / 1520م). الدارس في تاريخ المدارس؛ تحقيق جعفر الحسن - القاهرة، 1408هـ / 1988م.
- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت697هـ / 1297م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج4؛ تحقيق حسني ربيع - القاهرة: دار الكتب، 1392هـ / 1972م.

- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى، (ت726هـ / 1325م). ذيل مرآة الزمان - حيدرآباد - الدكن: دار المعارف العثمانية، 1374هـ / 1954م.
- اليافعي، عبد الله بن أسعد، (ت768هـ / 1366م). مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان - القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، 1413هـ / 1993م.

المراجع المطبوعة:

- تسيهير، جولد. التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية - القاهرة، 1937م.
- ربيع، حسنين. النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين - القاهرة، 1964م.
- عبد العاطي، عبد الغني. التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك - القاهرة؛ دار المعارف، 1984م.
- علي، محمد كرد. خطط الشام - ط2 - بيروت، 1391هـ / 1971م.
- غنيمة، محمد عبد الرحيم. تاريخ الجامعات الإسلامية - بيروت، 1995م.
- معروف، ناجي. تاريخ علماء المستنصرية - ط2 - بغداد، 1384هـ / 1965م.